# القواعد الأربع

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧ \ ١٤٣٦ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

https://www.facebook.com/ahmedbazmoo?ref=hl
/http://www.ahmedbazmool.com

# الدرس الأول من شرح القواعد الأربع

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحَمْدَ لِلّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

ألا وإِنَّ أَصْدَقَ الكلامِ كلامُ اللهِ وَخَيْرَ الهُدى هُدى مُحَمَّد وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد :

فنتدارس ونتذاكر فيما بيننا متن القواعد الأربع لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي –رحمه الله تعالى– صاحب الدعوة السلفية ، ومن أنقذ الله –عزّ وجل– به الجزيرة العربية ، وجدّد الله –عزّ وجل– به دين نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– حيث دعا إلى التوحيد والسنة وحارب الشرك والبدعة والضلالة ، وأرسى قواعد هذا الدين ،

ودعا الناس إلى الرجوع إلى الدين الصحيح الذي بُعث به نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– .

لذا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– يعتبر عند أهل العلم وعند المسلمين من المجددين لهذا الدين ، وتجديد الدين ليس معناه أن نبتدع وأن نخترع وأن نأتي بأمور من تلقاء أنفسنا ، وإنما تجديد الدين يكون باتباع وإحياء سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – وبمحاربة الشرك والبدع والضلالات ، وبيان الحق ونصرته ، ورد الباطل وإزهاقه ، هكذا يكون هذا التجديد السلفي الشرعي .

- وهذه القواعد الأربع شرحها جماعة من أهل العلم مما يدل على مكانتها وفضلها وأهميتها ، فممن شرحها الإمام عبد العزيز بن باز – رحمه الله تعالى – ، والعلامة محمد آمان الجامي –رحمه الله تعالى– ، والعلامة أحمد بن يحيى النجمي –رحمه الله تعالى– ، وكذا العلامة صالح الفوزان –حفظه الله تعالى– وغيرهم من أهل العلم ، كالشيخ صالح آل الشيخ حيث شرح هذه الرسالة ، وغيره أيضًا ممن شرح هذه الرسالة .
- وهذه القواعد الأربع كما يقول الإمام بن باز – رحمه الله تعالى – في شرحه لهذه الرسالة ، قال :" أما بعد ، فهذه القواعد الأربع نبّه عليها المؤلف –رحمه الله– وهي قواعد مهمة ، فمن عقلها وفهمها جيدًا فهم دين المشركين ، وفهم دين المسلمين ،

وأغلب الخلق لا يفهم هذه القواعد ولهذا التبست عليهم ؛ فعبدوا القبور وأصحابها والأولياء والأشجار والأحجار من دون الله وهم يحسبون أنهم على شيء لجهلهم بحقيقة التوحيد وحقيقة الشرك ، ومؤلف هذه القواعد هو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– وهو المجدد لما اِندرس من معالم الإسلام في هذه الجزيرة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، المتوفى سنة ست ومائتين وألف من الهجرة النبوية" . انتهى كلامه –رحمه الله تعالى –

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– في مقدمة هذه الرسالة ، قال:

"أسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ؛ فَإِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاثُ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ. ".

مرَّ معنا أن الابتداء ببسم الله الرحمن الرحيم دليله الاقتداء بكتاب الله –عزَّ وجل– حيث البسملة هي أول ما في القرآن العظيم "بسم الله الرحمن الرحيم" ، وأيضًا جاء في بعض كتابات النبي – صلى الله عليه وسلم– وفي بعض الآثار عن السلف البدء ببسم الله الرحمن الرحيم ، وأن حديث "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله –وفي بعض الروايات بحمد الله– فهو أبتر،أقطع ،أجذم" ، قلنا كما نبّه بذلك الإمام الألباني –رحمه الله تعالى–

هو حديث ضعيف لا يصح ، بل قال الألباني ضعيف جدًا ولا يتقوَّى مع كثرة الطرق لشدة ضعفها.

قال – رحمه الله تعالى – :

"أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة " .

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– ابتدأ هذه الرسالة بالدعاء لطالب العلم وطالب الحق من الذكور والإناث ، دعا لهم بهذه الأدعية المباركة ، ومنها :

أن يتولاه الله –عز وجل– في الدنيا والآخرة ، والمعنى أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– حين قال : " أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة " ، يتولاك بمعنى : ينصرك ويؤيدك في الدنيا والآخرة .

فمن كان الله –عزَّ وجل– ولّيه ، فمن تولاه الله –عزَّ وجل– وكان وليًا لله –عزَّ وجل– ، وكان العبد وليًا لله –عزَّ وجل– فمن ذا يخاف ومن ذا يغلبه .

فإن الله –عزَّ وجل– إذا كان له نصيرًا وظهيرًا فإنه –سبحانه وتعالى– كما قال بن جرير في قوله–عزّ وجل–: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[1] ، قال بن جرير –رحمه الله تعالى– : أي نصيرهم وظهيرهم ، يتولاهم بعونه وتوفيقه .

---

([1]) [البقرة:٢٥٧]

لذا سأل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، سأل الله –عزَّ وجل– لك يا طالب العلم ، ولكِ يا طالبة العلم أن يتولاكِ الله –عزَّ وجل– ، وأن يحفظكَ وأن يحفظكِ و أن ينصرك وأن يوفقك لكل خير ؛ لأن الإنسان في هذه الدنيا في دار بلاء ، وابتلاء ، واختبار وله الاختيار .

وكما مرّ معنا أن مشيئة العبد واختياره لا تَخرج عن مشيئة الله –عز وجل– ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[٢] ؛ فهذا الدعاء العظيم من هذا الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– دليل على حرصه وعلى شفقته وعلى حسن تربيته لطلاب العلم وطالبات العلم ، وأن المعلم ينبغي أن يكون حريصًا على طلابه ، كيف لا والنبي – صلى الله عليه وسلم– كان حريصًا على هداية الناس ، وعلى استجابتهم للحق ، وعلى رجوعهم ودخولهم في دين الله – عزَّ وجل – .

ثم قال –رحمه الله تعالى– :

" وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ " ، أيضًا دعا الله –عزَّ وجل – أن يجعلك يا طالب العلم ويا طالبة العلم بما تعلمتِ وبما درستِ وبما تعلمتَ وبما درستَ أن يحصل منك الخير والنفع للناس .

---

([2]) [التكوير :٢٩]

" مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ " ، بمعنى أنك تنفع الآخرين بما عندك من علمٍ شرعي ، وبما عندك من الدِلالة على الحق والتحذير من الشر ، وأما أن تدعو إلى الشر وتُحذِّر من الخير فأنت لست مباركًا ، بل أنت مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير ، وهؤلاء من شرار الخلق – نسأل الله السلامة والعافية – .

وأن يجعلك مباركا أينما كنت ، ومرّ معنا التنبيه في محاضرة أخطاء في العقيدة أنه ليس معنى المباركة أو البركة أن تتبرك بالإنسان ، وأن تعتقد فيه أنه ينفع أو يضر ؛ فإن هذا من الاعتقاد المنهي عنه والمحرم شرعًا ، بل هو يدخل في باب الشرك إذا اعتقدت في شخصٍ أنه ينفع و يضر ببركته فقد وقعت في بابٍ من أبواب الشرك .

ولذلك معنى قوله ها هنا " وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ " أي كثير الخير وكثير النفع للناس بهدايتهم للحق ، بدعوتهم للحق وبتحذيرهم من الشر ، وأيضًا أن لا يصدر منك إلا الأمر الطيب – بإذن الله تعالى – .

ثم قال في دعاءه :

" وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ؛ فَإِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاثُ –أي الشكر والصبر والاستغفار– عُنْوَانُ السَّعَادَةِ ، يعني إن كنت ممن إذا أنعم الله –عزَّ وجل– عليك بالنعم فإنك تشكر الله –عزَّ وجل– بطاعته واتباع سُنّة نبيه – صلى الله عليه وسلم – ، وأن تعمل بطاعة الله كلما أنعم عليك

وإذا أنعم عليك ازددت له طاعة على السُنّة ، وازددت له تقربًا على السُنّة ( وَمَا تقرَّبَ إليَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أحَبَّ إليَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عليهِ) أو كما جاء في الحديث القدسي .

فإذا الشكر لنعمة الله –عز وجل– يكون :

– بالقلب : بأن تعترف وأن يتعرف قلبك بعظيم وجزيل نعمة الله –عز وجل– ﴿إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[٣].

– وأيضًا الشكر بالثناء (باللسان) : بأن تحمد الله –عزَّ وجل– وتشكره على النعم التي أنعم بها عليك .

– وأيضًا الشكر يكون بالعمل : بأن تُطيع الله –عزَّ وجل– ولا تعصه ، وأن تتبع سُنّة النبي –صلى الله عليه وسلم – ، وأن تحذَر وتُحذِّر من الشرك ومن البدع والضلالات ؛ فإذا أُعطي العبد شكر .

– وأيضًا من شُكْرِ الله شُكْرُ الناس ؛ كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– : ( لاَ يَشْكُرُ الله مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ ) ؛ فلابد أن تشكر الناس وألا تحسدهم ، وألا تنكرهم ، وألا تؤذيهم ؛ إذ أن الله – عزَّ وجل – قد أنعم على بعض الناس ببعض النعم فأنت تشكره على ما قام بأداء هذه النعم .

---

( [3] [النحل :١٨]

قال : "وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ" ، كما مر معنا هذه الدنيا قيل سُميت الدنيا لدنوّ زوالها أي قرب زوالها ، وقيل سُميت هذه الدار الدنيا لأنها دار دنيئة ، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– : ( الدُّنْيا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلاّ ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا والاهُ ) .

ومن الأمور المتعلقة بهذه الدنيا كثرة الابتلاءات وكثرة المصائب وكثرة أمثال هذه الأمور ؛ فإذا وقع الابتلاء على العبد عليه أن يصبر وألا يجزع ، والصبر كما ذكر أهل العلم ثلاثة أنواع :

– صبرٌ على الطاعة : بأن تؤديها على الوجه المشروع .

– وصبرٌ عن المعصية : بألاّ تقع فيها ، وأن تتوب إن وَقَعت فيها ، وتحبس نفسك عن معصية الله –عزَّ وجل – .

–وصبرٌ على المصائب والأقدار : فلا تجزع ؛ فإن رضيت فلك الرضى وإن جزعت وسخطت فلك السخط .

ولذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– لمّا أتى على امرأةٍ كانت تبكي على ميت لها فقال لها : اصبري ، اتقي الله واصبري ، وكانت لا تعلم أنه النبي –صلى الله عليه وسلم– ، فقالت : إليك عني إنك لم تصب بمصيبتي ؛ فذهب النبي– صلى الله عليه وسلم – ،

فقيل لها هذا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، فذهبت إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– تعتذر فقال لها –صلى الله عليه وسلم– : ( إنّما الصّبْرَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى ) .

فالإنسان يصبر على هذه الأقدار وعلى هذه المصائب وعلى هذه المحن ؛ لأنه إن صبر فـ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[4] ، وإن جزع واعترض على قضاء الله ؛ فإن هذا الجزع وهذا السُخط لا يرفع عنه ما حلّ به من المصائب ، بل يؤاخذ ويُحاسب على ما يقوله أو يفعله من نياحةٍ أو تقطيعٍ للثياب أو كلامٍ يعترض فيه على ما قدّره الله .

ولذلك نبّه العلماء على أن من الخطأ قول بعضهم إذا مات إنسان أو صارت له مصيبة فلان ما يستاهل فلان كذا ، قالوا : هذا خطأ ، هذه أمور مُقدّرة .

فإذا علينا – بارك الله فيكم – أن نعلم أن هذه الدنيا دار ابتلاء ، لابد أن يصبر ولذلك جاء في الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– : ( أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِياءُ ثمَّ الأمثل فالأمثل ) أو كما قال –عليه الصلاة والسلام– ؛ فإذا كان الأنبياء وهم أفضل الخلق – عليهم الصلاة والسلام– يُبتلون ويصبرون ، وكذا أولياء الله –عزَّ وجل– يُبتلون في هذه الدنيا ، ولنعلم –بارك الله فيكم– أن الابتلاءات فيها رفعٌ للدرجات ، وأن من كان من الناس –من غير الأنبياء والرسل– ممن ابتلي بالمعاصي فإن هذه الابتلاءات والمصائب

---

(4) [ سورة الزمر ١٠ ]

تُكفِّر له الذنوب كما جاء في حديث عائشة وغيرها ؛ لذلك دعا شيخ الإسلام بهذا الدعاء الجامع وإذا ابتلي صبر.

ومرّ معنا أيضًا في الأصول الثلاثة أنّه يجب علينا تعلم أربع مسائل العلم ثم العمل ثم الدعوة ثم الصبر ، وورقة بن نوفل لما أخذت خديجة –رضي الله عنها وأرضاها– أخذت النبي –صلى الله عليه وسلم – إلى ورقة بن نوفل وكان امرءًا قد تنصر ؛ فأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم– ورقةَ بن نوفل بما رآه من جبريل –عليه الصلاة والسلام– ؛ فأخبره أن هذا المَلَك الذي كان ينزل على الأنبياء من قبل ، ثم كان من كلام ورقة : "ليتني كنت جذعا – أي شابا – حين يخرجك قومك" ، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم – : (أوَ مُخْرِجِيَّ هم ؟ ) يعني هل سيطردوني ، هل سيخرجوني ؟ وأنا ناصحٌ لهم وأنا رسول من الله ، هل سيَحِل هذا بي؟ ، فقال له ورقة : "إنه لم يأتِ أحٌد بمثل ما جئت به إلا عودي" ، أي إلا كان له أعداء يُعادون ما عنده من الحق ويُعادون دعوته ويحاولون التسلط عليه وأذيته ؛ فعليه أن يصبر وألا يلتفت إليهم ، كما نبه على ذلك ابن القيم الجوزية –رحمه الله تعالى– حين قال في كلام معناه ، إن العبد عليه أن يصبر وأن يعمل بطاعة الله فإن الله هو الذي سيكفيه شر أولئك ، وعلى العبد إذا صبر أن لا يأخد على نفسه أن يرد كيد أولئك بنفسه ، بل إنما يجعل أمرهم إلى الله –عز وجل– هو الذي ينصره وهو الذي يكفيه شرهم بإذنه –سبحانه وتعالى–.

فإذا علمنا –بارك الله فيكم– أن هؤلاء الأنبياء –صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين– يُبتلون بمثل هذه الأمور ويصبرون فنحن نقتدي بهم أيضًا في أن نصبر خاصةً الدعاء إلى الله عزَّ وجل ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾[٥] .

فالداعية إنما يدعو إلى الله لا يدعو إلى نفسه ، أما الذي يدعو إلى نفسه فإنه لا يوفق ، وأما الذي يدعو إلى الله فإنه يُوفق بإذن الله تعالى .

قال الشيخ –رحمه الله تعالى– :

"وَإِذَا أذنَبَ اسْتَغْفَرَ" ، يعني إن وقع العبد في ذنبٍ فعليه بالاستغفار ، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم– لمعاذ : ( وأتبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تمحها )، وقال الله –عز وجل– : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[٦]

فالتوبة واجبةٌ من الكبائر ، والمسلم إذا أذنب واستغفر فإنه بإذن الله تعالى تُمحى عنه تلك الذنوب إما بتغطيتها وإما بإزالتها ، كما جاء في الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– : ( إن العبد إذا أذنب نُكت في قلبه نُكتة سوداء ثم إن تاب وأقلع صقلت ومحيت) إلى آخر الحديث ، فهذا أمرٌ مهمٌ جدًا علينا جميعا أن نتفطن له – ما هو هذا الأمر ؟



( [5]) [يوسف :١٠٨]
( [6]) [النور :٣١]

– أننا إذا أذنبنا أن نستغفر الله ، وأن نعمل بالطاعة ، وأن نتوب إلى الله –عزَّ وجل– حتى لا يصبح قلبنا أسودًا من كثرة الذنوب ؛ لأنه كلما أذنب نُكت في قلبه نُكتة سوداء كما في الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– السابق (إذا أذنب العبد نُكت في قلبه نُكتة سوداء فإن تاب وأقلع صُقِلت ومُحيت ثم إذا أذنب نكت في قلبه نكت سوداء ولا يزال ينكت في قلبه حتى يصبح أسودًا كالكوز مُجَخِّيا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا ).

والله –عز وجل– يقول : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ ﴾ أي : غطى ، ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٧] أي غطى على قلوبهم ، أي : غُطِّيت على قلوبهم بكثرة أو بسبب ذنوبهم وأعمالهم ، ﴿ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي : ما كانوا يفعلون من سيئاتٍ وذنوبٍ ونحو ذلك .

لذلك إذا أذنب الواحد منا عليه أن يستغفر وأن يتوب إلى الله –عزَّ وجل– كما سبق (وأتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تمحها) .

وفي الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– وصححه الإمام الألباني –رحمه الله تعالى– في السلسلة الصحيحة ، أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– : (إن صاحبَ الشمالِ ليرفعُ القلَمَ ستّ ساعاتٍ عن العبدِ المسلمِ المخطِيءِ أو المسِيءِ ، فإن ندمَ واستغفرَ اللهَ



[7] المطففين[١٤]

منها ألقاهَا وإلا كتبَ واحدةً )[٨] .

لذلك احرص يا عبد الله ، واحرصي يا أمة الله ، ونحن وكل واحدٍ منا يحرص على أن يتوب وعلى أن يستغفر بعد الذنب وأن لا يُطيل العهد بينه وبين التوبة.

قال : "وَإِذَا أذَنبَ اسْتَغْفَرَ" ، وهنا تنبيه كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– وحسّنه الألباني : (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطّائِينَ التَوَّابُونَ) ؛ فأنت وأنا يا عبد الله مُعرّضون للذنوب وللوقوع في المعاصي ؛ لأن الشيطان عدونا ، حريصٌ على إضلالنا ، وحريصٌ على إيقاعنا في معاصي الله –عز وجل– .

لذا علينا جميعا أن نعلم هذا الأمر وأن العبد إذا أذنب وتاب وأناب ورجع إلى الله –عز وجل– فإنه يُقبَل .

ولنحذر –بارك الله فيكم– من تعيير من أذنب إذا تاب واستغفر ، فإن هذا أمْر لا يجوز ولا يليق بالمسلم أن يُعيِّر أخاه المسلم بعد توبته ورجوعه إلى الله –عز وجل– ؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات –سبحانه وتعالى– ، وهو –سبحانه– يتوب على من تاب ، لذا كان من سمات المنهج الحدادي أن من وقع في الخطأ ولو تاب منه ولو رجع عنه لا يزالون يُعيِّرونه بخطئه ولا يزالون يذكرون وينشرون خطئه وكأنه لم يتب منه.

فإن العبد إذا أخطأ في باب الشهوات "المعاصي والذنوب" أو في باب الشبهات "مخالفة الحق والبدع والضلالات" ثم رجع وتاب وأناب ؛ فإنه بعد أن تَثْبُت وتَحْسُن توبته في باب

(٨) الراوي:أبو أمامة الباهلي المحدث:الألباني المصدر:السلسلة الصحيحة الجزء أو الصفحة:١٢٠٩ حكم المحدث:في إسناده عاصم والقاسم لا ينزل به حديثهما عن مرتبة الحسن

الشبهات و يعني كما فعل عمر –رضي الله عنه– مع صبيغ ، أَنْظَرَهُ سنة ثم قبله فإنه

يُقبَل ، ولا يليق بأحدٍ أن يذكر ما كان منه سابقًا إن كان تاب وأناب ورجع إلى الله –عز وجل– فإن باب التوبة مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها ، وما بين مِصراعيه – ما بين جانبيه– كما بين المشرق والمغرب ، فمن ذا الذي يُضَيِّق على عباد الله –عز وجل– التوبة والرجوع إلى الله ! هذا إذا كانوا وقعوا في هذه الأمور ، وأما إنا كانت نُسبت إليهم خطأ فإن الواجب تَرْكُ مثل هذه الأمور.

قال الشيخ –رحمه الله تعالى– : "فَإِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاثُ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ" ، يعني هذه هي السعادة الحقيقية ، وهذه هي السعادة التي يسعى إليها المرء ويَحرَص عليها ، فليست السعادة في المال ، وليست السعادة في الجاه والمنصب ، وليست السعادة في الاشتغال والاستكثار من الدنيا ؛ إنما السعادة هي في القرب من الله – عز وجل – ، وفي الإنابة والرجوع إلى الله – عز وجل– ، وفي الرضا بقضاء الله – عز وجل – وقدره ، فالشكر والصبر والاستغفار والتوبة إن حصلت للعبد تحققت له السعادة .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – :

"اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ : أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيم : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [9]"

[9] [ سورة الذاريات ٥٦ ]

شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – يقول : " اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ" ، هذا أيضًا دعاء بأن يرشدك الله – عزَّ وجل– وأن يوفقك لطاعته ، فإذا أرشدك الله وهداك إلى طاعته ووفقك لسلوك طاعته

وطاعته هنا المراد بها : الدين الذي أرسل الله – عز وجل – به نبينا محمدًا – صلى الله عليه وسلم – .

فيقول : " اعْلَمْ " ؛ أي علمًا يقينًا جازمًا لا شك فيه لابد أن تتيقن هذا الأمر.

"اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ : أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيم : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

"الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيم" ؛ ملة أبينا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – ، التي كان عليها إبراهيم ، وبُعث بها ودعا قومه إليها ، هي أن تعبد الله وحده فلا تعبد معه شيئًا آخر ، لا قمرًا ولا شمسًا ولا حجرًا ولا ملكًا ولا نبيًا مرسلًا ولا وليًا صالحًا ولا أي شيء من المعبودات الباطلة من دون الله – عز وجل– .

"أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ" ؛ الإخلاص : أن تُفرده –سبحانه وتعالى– بالعبادة فلا تصرف العبادة لغيره ، مخلصًا له الدين : أي العبادة و ما تتقرب به إليه مما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم –.

"كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾" ؛أي إلا ليطيعون أي يوحدون ، فالله – عز وجل – بيَّن أن الحكمة من خلق الجن و الإنس أن يعبدوه – سبحانه وتعالى – ، و يعبدونه هنا بمعنى يُوَّحِّدونه ، كما جاء عن ابن عباس و عن غيره من السلف .

لذلك إذا صرف العبد العبادة لغير الله – عز وجل – فقد خالف الحكمة التي من أجلها خلق الله الجن والإنس .

فالحنيفية كما قال أهل العلم : " إنما سُمّيت ملة إبراهيم الحنيفية لأنه مال من الشرك الى التوحيد" .

أيضًا الحنيف في اللغة : هو الأصل المستقيم ، و لذلك قال الله – عز وجل –: ﴿ وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[١] .

يعني أن إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – لم يكن على ما كان عليه أبوه وقومه من الشرك ، بل رفض ذلك وأبى وبيَّن بُطلان ما عليه قومه من عبادة غير الله – عز وجل – ، وأن تلك الأصنام لا تنفع ولا تضر ، بل لا تنفع نفسها فضلًا أن تنفع غيرها ، بل لا تنطق ولا تتكلم فضلًا أن تسمع وأن تجيب ، فإبراهيم – عليه الصلاة والسلام – كان أمة قانتًا ، وكان حنيفًا لله ولم يكن من المشركين ، كما وصفه الله – عز وجل – في آيات



[10] ) آل عمران[٦٧]

متعددة ، وصف إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – إمام الحنفاء ، ولذلك قال المصنف – رحمه الله – هاهنا : " الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيم " التي أمرنا باتباعها ؛ ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[11]

والنبي – صلى الله عليه وسلم – أتى بهذا التوحيد وأتى بهذه الملة ، يقول صلى الله عليه وسلم : (بُعِثْتُ بالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ) وكان فيما يُتلى في كتاب الله : (إني لم أُبعث باليهودية ولم أبعث بالنصرانية وإنما بُعث بالحنيفية السمحة) أو كما قال –عليه الصلاة والسلام – .

وهذه الحنيفية التوحيد الخالص لله –عز وجل – هو الذي اتفقت عليه جميع الرسالات ، وأتى به جميع الأنبياء والرسل ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[12] ، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم – : ( نحن الأنبياء أخوة لعلّات أبونا واحد وأمهاتنا شتى ) ، والمعنى أن الأنبياء والرسل جميعًا اتفقوا في التوحيد ، وأما ما يتعلق بالأحكام والشرائع فلكل نبيٍ شريعته كما قال الله – عز وجل –: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[13] أي سُنّة وسبيلًا .

أما السُنّة : فهي السُنن والأحكام .



( [11]) [الحج:٧٨] .
( [12]) [النحل :٣٦]
( [13]) [المائدة:٤٨]

وأما السبيل : فهو التوحيـد .

ولذلك هذا التوحيد هو الإسلام بمعناه العام ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[1] ، فكل الأنبياء أَتَوا بهذا التوحيد ، ولذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – بيَّن أن الحنيفية ملة إبراهيم تكمن وتحصل وتتحقق بهذا الأمر ، أن تعبد الله وحده ؛ لأن بعض الناس قد يعبدون الله ويعبدون الولي الفلاني ، بعض الناس يعبدون الله ويطوفون حول القبر الفلاني ، بعض الناس يعبدون الله ويذبحون لغير الله – عز وجل – ، بعض الناس يدعون الله ويدعون غيره والله أغنى الشركاء عن الشرك ( مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ ) كما قال –سبحانه وتعالى – في الحديث القدسي .

ولذلك هذه المسألة قدّمها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لأنها أصل عظيم لابد أن يعرفه كل مسلم ، وأن يُحققه في عبادته لله – عز وجل – ، فالحنيفية بُعث بها النبي – صلى الله عليه وسلم – وقلنا كما سبق أنه جاء في آيةٍ منسوخة والعلماء قالوا النسخ في القرآن على ثلاث مراتب أو على ثلاث أنواع:

–النـوع الأول : نَسْخُ القراءة والحكم ؛ بمعنى لا تُقرأ في القرآن ولايُعمل بها ، وهذا كما قالت عائشة : –رضى الله عنها– كان فيما أُنزل فى القرآن (عشر رَضعاتٍ يُحرِّمن) ؛ فنُسخت هذه الآية تلاوةً ونُسِخت أيضًا حكمًا ؛ لأنه صار الحكم بخمس رضعات يُحرِّمن

[1] ( [14] [آل عمران:١٩]

الطفل فى الحولين إذا رضع خمس رضعات من امرأةٍ واحدة فإنه يَحرُم من الرضاع مايَحرُم من النسب ويكون ابنًا لها بالرضاع وكذا البنت ، هذا النوع الأول.

–والنوع الثانى : أن يُنسَخ حكم الآية وتُقرأ فى القرآن ؛يعنى من ناحية القراءة موجودة الآية في القرآن وأما حكمها فإنه منسوخ ؛ وذلك على سبيل المثال ماجاء في أن المسلم في القتال أن الواحد من المسلمين يُقابل عشرة كما فى سورة الأنفال حين ذكر الله –عز وجل– في قوله : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[15] ثم قال ناسخًا للآية السابقة : ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[16]

فكان الحكم أولًا الواحد يقابل عشرة من الكفار، ثم نُسخ بأن الواحد يقابل اثنين، فهذه الآية تتلى ولكن الآية الأولى حكمها منسوخ ، فهذا النوع الثانى أن يُنسخ الحكم وتبقى التلاوة .

– والنوع الثالث : أن تُنسخ التلاوة ويبقى الحكم ؛من ذلك الحديث : ( إنى لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بُعثت بالحنيفية السمحة ) ، فكان هذا مما يُقرأ ، وكان مما يُقرأ أيضًا ماجاء عن عمر –رضى الله عنه– أنه قال كان فيما يتلى من كتاب الله : ﴿



---

([15]) [الأنفال :٦٥]
([16]) [الأنفال:٦٦] .

والشيخ والشيخة إذا زنيا فاجلدوهما البتة نكالًا من الله ﴾ فهذه الآية يُعمل بها ولكن لا تُتلى في كتاب الله

فهذه ثلاث أنواع من أنواع النسخ فى القرآن كما ذكرها العلماء فى كتب علوم القرآن ، فكانت هذه الآية ( إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة ) وإن نُسخت تلاوةً إلا أن حكمها باقٍ ويُعمل به ، نعم .

ثم قال الشيخ –رحمه الله تعالى– : " مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ " ، الإخلاص أحد شرطي قَبول العمل والطاعة وهذا لابد أن نتذكره وأن نتدبره ، فأي عبادةٍ لا تُقبل إلا بشرطين :

– الشرط الأول : الإخلاص لله –عزَّ وجل– .

– الشرط الثانى : المتابعة لسنة النبي –صلى الله عليه وسلم– .

أما الشرط الأول الإخلاص لله –عزَّ وجل– : بمعنى أن تعمل العبادة لله وحده لاشريك له ، فتحذر من الرياء ؛ فتحذر أن تعمل العبادة ليراك الناس فيمدحوك كما مر معنا ، وأن تحذر من السمعة أن تعمل الطاعة فتذكرها أو أن ترفع صوتك بقراءة القرآن أو بالتسبيح ليسمعك الناس فيثنون عليك فتبطل عملك ، وأن تحذر بأن تعمل للدنيا بعمل الآخرة ، بل تعمل الطاعة لله –عزَّ وجل– وإن حصل شيء من أمور الدنيا من خيرٍ ونحوه

فهذا خير على خير ، ولكن أن يكون الباعث والمحرك والسبب لعمل هذه الطاعة طلب أمور دنيوية فإن هذا ليس من باب الإخلاص لله –عزَّ وجل– .

وأيضًا مما ينافي الإخلاص أن تصرف العبادة لغير الله –عزَّ وجل– ، وهذا الشرك الأكبر، أما الرياء والسمعة والعمل لأجل الدنيا فإن هذا يدخل فى باب الشرك الأصغر ، وأما أن تعمل لغير الله –عزَّ وجل– وتصرف الطاعة لغير الله –عز وجل– فإن هذا يدخل فى باب الشرك الأكبر كما ذكر ذلك أهل العلم.

ولذلك تأملوا –بارك الله فيكم– في قول المصنف " مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ " ؛ فالدين الخالص هو الصافي من شوائب الشرك كبيرًا كان أو صغيرًا وتأملوا قوله –تعالى–:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[17] ؛ أن الحكمة من خلق الخلق هو من باب الابتلاء والاختبار ؛ فمن أطاع الله –عزَّ وجل– دخل الجنة ، وأما من عصاه بالشرك أو بالكفر أو بالإلحاد وبالنفاق الأكبر الاعتقادي دخل النار إن مات على ذلك ، وأما أهل المعاصي مع أصل الإيمان فهم تحت قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[18]

إذا عرفت هذه الملة الحنيفية يقول لك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب :



---

([17]) [الذاريات:٥٦]
([18]) [النساء :٤٨].

" فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ .

فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ.

عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ" ، يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى–: " فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ " ؛ أي وحده لاشريك له

– ما هي العبادة ؟

العبادة كما عرّفها شيخ الإسلام بن تيمية –رحمه الله تعالى– : " كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة " ، هذا مفهوم العبادة العام أنه كل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ولاحظوا –بارك الله فيكم– أن مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال بمعنى ماجاء به الرسول مُبلِغًا عن الله –عزَّ وجل– ؛ هذه هى العبادة بمعناها العام ؛ و لذلك لا تُسمى العبادة عبادة إلا إذا توفّر فيها الإخلاص وماجاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم– .

طيب إن عمل عبدٌ أو عملت امرأةٌ بطاعةٍ لله لم يأتِ بها النبي ؛هي مخلصة لله ولكن لم يأتِ بها النبي –صلى الله عليه وسلم–

– ماحكمها ؟

حكمها مأخوذٌ ويُعلم من قوله –صلى الله عليه وسلم– : ( مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رد) ؛ أي مردود لا يُقبل ، ولذلك لابد أن نتنبّه لهذا الأمرر: أنّ العبادة لا تسمّى عبادة إلّا إن توفّر فيها شرطان : الإخلاص والمتابعة لسنّة النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– .

وأيضًا تُطلق العبادة بمعنى التوحيد كما مرّ معنا ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]، فشيخ الإسلام يقول لك : " فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ " ؛ أي وحده لا شريك له في صرف جميع أنواع العبادة له –سبحانه وتعالى– ، من دعاءٍ وطوافٍ ونذرٍ وذبحٍ وخوفٍ وتوكل وخشيةٍ وإنابةٍ واستعانةٍ واستغاثةٍ وكلّ أنواع العبادات التّي لا تصلح ولا تصح إلّا لله –عز وجل– .

قال إذا عرفت ذلك : " فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ " .

2

(19) [الذّاريات:٥٦]

الآن لو جاءنا واحد وقام وصلّى الظهر أو العشاء ، كان نائما مثلًا وقام صلى العشاء، أو مثلًا دخل الخلاء وقضى حاجته ولم يتوضّأ وقال أريد أن أصلي العشاء ،

– هـل يقبل منـه ؟

– الجواب لا، لا يقبل منه .

– السـؤال لمـاذا ؟

لأنّ الطّهارة شرط للصّلاة ، فلا تصحّ الصّلاة ولا تُسمّى صلاة إلّا مع الطّهارة ؛ فشيخ الإسلام يقول لنا : كذلك التّوحيد في العبادة شرطٌ لها ، فلا تُسمّى العبادة عبادة إلّا إذا كان العبد موحدًا لله –عزّ وجلّ– .

ولذلك ذكر الله – عزّ وجلّ – في المشركين والكافرين قوله : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾[٢٠]

فالكافر إذا عمل عملًا صالحًا خيّرا في الدّنيا فإنّه لا يُقبل منه ، بل جاء في السُّنّة النّبويّة ما يدُّل على أنّ الله يجازيه على عمله في الدّنيا ، بأن يُسخّر له بعض النّعم مكافأةً له على ذلك العمل الخيِّر ، ولكن يوم القيامة لا يُقبل منه شيء ، فيأتي ولم يعمل بشيء .

– لماذا يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب هذا الكلام ؟



(20) [الفرقان:٢٣] .

– لأنّ بعض النّاس يَقعون في الشّرك ويقولون نحن مسلمون ، يذبحون لغير الله ويقولون نحن مسلمون ، ويعتقدون في السيّد الفلاني أنّه ينفع ويضر ويقولون نحن مسلمون ، ويعتقدون أنّ القبر الفلاني يُطاف حوله ويُذبح له ويتقرّب له ويُسأل من دون الله ويقولون نحن مسلمون ، فيقول لهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب : هذه الأمور شرك، وعبادتكم لا تقبل لأن " الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ " .

قال : " فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ " ، يعني إذا كان العبد يفعل الطّاعة لله فأدخل عليها الشّرك ، عمل شركًا ، أفسد تلك العبادة ، كما أنّ الإنسان لو تطهّر ثمّ خرجت منه ريح أو تبوّل أو نحو ذلك أو نام فإنّها تُفسد الطّهارة ؛ لأن الحدث يفسد الطّهارة والشّرك يفسد العبادة .

وهذا من شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب – رحمه الله تعالى – أمرٌ دقيق ومثالٌ جميلٌ جدًّا واضح ظاهر، يفهمه العامة بل حتّى البليد يفهمه لوضوحه ، كما أنّك لا تصحّ منك الصّلاة لعدم الطّهارة فلا تصحّ منك العبادة لعدم التّوحيد.

ولكن كلام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهّاب هذا محمولٌ عند أهل العلم على من كان يعلم أو بُيّن له الحقّ من الباطل ، أمّا من كان يجهل الحكم ولم يسأل العلماء وكان جاهلًا للحكم ويظنّ نفسه أنه على شرع الله فهنا تدخل مسألة العذر بالجهل .

فليس مراد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب ما يأتي به الحدّاديّة من تكفير المسلمين مطلقًا ، فإنّ المسلم إن دخل الإسلام بيقين فلا يخرج منه أيضًا إلّا بيقين .

والعذر بالجهل كما مرّ معنا في درس كشف الشّبهات يوم الجمعة الماضية ، العذر بالجهل مُقرّر عند أهل العلم لأدلّته ، ولكن لابد أيضًا من بيان أمر حتّى لا يغترّ العبد

– ما مـراد العلماء بالعـذر بالجهل ؟

– مرادهم بالعذر بالجهل في حالة الإنسان الذّي يجهل الحكم ، ولم يُمكنه أن يسأل العلماء ، ولم يقف على بطلان ما هو عليه ، ولم يسمع أنّ ما هو عليه من شرك .

أمّا إن سمع أن ما هو عليه شرك وبلغه الدّليل وبلغته النّصوص ولم يسأل ولم يتفقّه فإنّ هذا كما بيّن أهل العلم يؤاخذ ويحاسب .

إذاً الْعِبَادَةُ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ .

قال الشّيخ – رحمه الله تعالى – : " فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ " ؛ هذا يؤكّد لكم ما سبق معنا ، من أنّ مراد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب – رحمه الله تعالى – فيما سبق من أنّ العبادة

تَبطُل بالشّرك وأنّ صاحبها هاهنا خالد مُخلد في النّار ، أنّ مراده فيمن لا يُعذر بجهله ، يعني أمكنه السّؤال فلم يسأل ولم يتعلم ، وبلغه أنّ ما هو عليه شرك وأصرّ على ما هو عليه.

وأمّا إذا كان معذورًا بجهله فإنّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب في رسائله وكتبه يُقرّر مسألة العذر بالجهل ، كما بيّن ذلك الإمام العثيمين –رحمه الله تعالى– في شرحه لكشف الشّبهات فإنّه طوّل الشّرح هناك وبيَّن بكلام واضح جليّ – جزاه الله خيرا – أنّ مسألة العذر بالجهل مسألةٌ مقرّرة ، وبيَّن ما سبق من أنّه إذا أمكنه السّؤال وبلغه الأدلّة ولم يسأل أنّه يؤاخذ .

يقول : " فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ " ؛ يعني من الأمور الهامّة والخطيرة أنّ العبد يتعلم التّوحيد ويتعلم ما يُخالفه ويُضاده ، أما التوحيد يتعلمه ليعمل به ، وأما ما يُخالفه من الشركيات يتعلمها بمعنى يتعلم حكمها ليحذرها ويُحذّر الناس منها ولئلا يقع فيها مستقبلًا .

قال : " عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ " ؛ ولذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– لما بعث معاذًا إلى اليمن .

– ماذا قال له ؟

( إنك تأتي قومًا هم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات ) الحديث .

فالتوحيد أولًا ، والتوحيد هو المهم ، والتوحيد هو دعوة الأنبياء والرسل إلى قومهم، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– دعا أمته منذ بِعثته إلى موته –عليه الصلاة والسلام– دعاهم إلى التوحيد ، وبهذا نعرف ضلال ما عليه بعض الجماعات التي تعتبر التوحيد مُفرِّقًا ومُسببًا للفتن بين الناس ، مثل جماعة التبليغ والأحباب ، التي تعتبر التوحيد أمرًا يُفرِّق الناس ، وأن التوحيد أمر ليس بالمهم ، وأن المهم أن الناس يفعلوا العبادة ، طيب شيخ الإسلام يقول : " الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ " ؛ لأن التوحيد شرطها ، وهؤلاء يعتبرون التوحيد مُفرِّقًا للناس ، نعوذ بالله من الضلال ، وأيضًا جماعة الأخوان الذين يسعون إلى الوصول للحكم والسلطة عن طريق الانقلابات ، عن طريق الثورات ، عن طريق تهييج الناس على ولاتها مما يُعرف يعني " الشعب يريد تغيير النظام " ، أو بما يعرف بالإضرابات والمظاهرات وبهذه الاعتصامات والثورات فكلها مخالفة لشرع الله –عزَّ وجل– .

ومن أحسن الكتب التي قرَّرت هذا الأمر يعني قَّررت أن الأنبياء في دعوتهم إلى الله دعوا إلى التوحيد ونبذ الشرك ، ولم تكن دعوتهم خالية من التوحيد ، ولم تكن دعوتهم مبنية على السياسة والسلطة والحكم والوصول إليها هو شيخنا الإمام الهُمام ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله تعالى– في كتابه الفذ " منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله – عز وجل–" ، فيه الحكمة والعقل ، وهذا الكتاب كتاب جميل ، أنا أوصي نفسي وأوصي طلاب العلم بل حتى عموم المسلمين أن يقرؤوه .

وقد اختصره أخونا الفاضل الشيخ أبو عبد الأعلى خالد عثمان المصري –جزاه الله خيراً– في رسالةٍ صغيرة بعد أن استأذن الشيخ ، فهناك كتاب مُطوَّل وهناك كتاب مختصر

فعلينا بقراءة هذا الكتاب لنعلم أننا أو أن بعضنا مُلبَّسًا عليه في عدم الاهتمام بالتوحيد ، وأن تلك الجماعات على غير هدًى من الله –عزَّ وجل– .

لذلك يقول شيخ الإسلام : " عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ ؛ وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ " ؛ يعني إذا وقعت في حبائل الشبكة وهي شبكة الصياد ؛ لأن الشيطان وأعوانه من الإنس والجن حريصون كل الحرص على إضلال الإنسان ، وابن القيم الجوزية ذكر سبعة أبواب يأتي بها الشيطان ليُضل الإنسان ؛ أول باب يأتيه من باب الشرك ، ثم يأتيه من باب الشبهات والبدع والضلالات وهكذا .

لذلك الشيطان ، الشيطان يا إخواني –بارك الله فيكم– حريص أن يوقعك في الشرك ، ولذلك هنا مسألة مهمة لابد من التنبّه لها

– مـا هـي هذه المسألة ؟

نحن جميعنا بحمد الله تعالى مسلمون نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، نقيم التوحيد وننبذ الشرك ، ولكن لا تتصور يا عبد الله أنك بهذا تكون فَلَتَّ من الشيطان ، بمعنى أن الشيطان سيأتيك من أبواب أُخر يحاول أن يوقعك في الشرك ، ولذلك ها هي شبكة الشيطان ؛ الشرك. طيب

– ما الموقف منه ؟

– الموقف أن نكون دائمًا حريصين على التوحيد، نحققه ونتعلمه وننشره ، وأن نكون دائمًا أيضًا حذرين من الشرك ، نَحذَر منه ونَحذَر أنواعه ونُحذِّر منه ، وكتاب شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله تعالى –كتاب التوحيد من أفضل الكتب المُؤلَفة في هذا الباب .

وكتاب شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله تعالى –كتاب التوحيد من أفضل الكتب في بيان أنواع الشرك صورةً صورة وبدليلها وبمسائلها ، وهو كتاب جامع نسأل الله –عزَّ وجل – أن يجعله في ميزان أعماله –جزاه الله عن هذه الأمة

خيرًا– ، وجزى الله شيوخ السنة السلفيين كلهم خيرًا عن هذه الأمة في دعوتهم للسنة ومحاربتهم للبدع ، في دعوتهم للتوحيد ومحاربتهم للشرك .

قال : " عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ ؛ وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ " ، لذلك تأملوا –بارك الله فيكم– في وصفه للشرك بالشبكة ؛ فإن الصياد يضع شبكته للصيد في مكان ، فإذا تعدّاه وسلم منه في المكان هذا يأخذ الشبكة ويضعها في مكان آخر .

من الخطأ الذي نسمعه من الناس اليوم أنه يقول كفاية توحيد ، خلاص نحن مسلمون مانحتاج للتوحيد ، هذا خطأ !

– لابد أن يكون التوحيد معك إلى الممات ، إلى الممات .

ولذلك من يعني من الصور التي يذكرها العلماء في حرص الشيطان على إضلال الإنسان ، ما جاء عن قصة عبد القادر الجيلاني[٢١] أنه كان في بيته نائمًا أو، مستلقٍ على وسادته ، يقول : " وأنا لم أنم ، فإذا سقف البيت ينكشف ، ينقشع ، ينكشف ، وإذا بسحابة عظيمة تأتي وتدخل في غرفته ، وتقول له هذه السحابة : يا عبد القادر إني أنا ربك وإنك كذا وكذا ، فقال عبد القادر : خسئت عدو الله ، فذهبت السحابة وعاد الجدار كما كان ، السقف كما كان .

(21) قصة عبدالقادر الجيلاني ذكرها ابن تيمية في المجموع ١ ص ١٧٢

فقال الشيطان خاطبه : كيف عرفت أني عدو الله ؟

فقال : علمت أني لست أفضل من رسول الله ، ولست أفضل من أصحاب رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم– ، فلِما أخص أنا بهذا الأمر ؟

فقال له الشيطان : لقد أضللت كذا وكذا من العبّاد بهذه الطريقة .

فانظرو كيف الشيطان يحاول أن يضل الإنسان بل حتى أن يضل يحاول أن يضل العلماء ، ولكن المعصوم من عصمه الله –عَزَّ وجَلْ– وحفظه .

فإذا كان هذا حال العلماء والشيطان يحاول أن يضلهم ، ولكن من كان ثابتًا على الحق ، متمسكًا بالحق ، فإن الله –عَزَّ و جَلْ– يحفظه بإذنه –سُبْحَانَهُ و تَعَالَى– فما بالنا بمن دونهم .

ولذلك علينا أن نحرص وأن نحذر ، أن نحرص على أن نتعلم التوحيد ، وأن نحذر من الشرك وصوره ووسائله .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– :

عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ ؛ وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[٢] (٢)

(22) [النساء ٤٨]

يعني أنت لا تأمن على نفسك يا عبد الله أن تقع في حبائل وفي شبكة الشرك التي يتصيدك بها الشيطان أو أعوانه .

- لعل البعض يسأل كيف ؟

- أقول : قد يأتيك أحد ويقول لك أنت في ضيقة تريد أولاد ، تريد مال ، تريد هذا الأمر يفرج لك ؛ تقول : والله نعم ، أنا والله في ضيق وأريد هذا الأمر أن يتيسر ، يقول : تعال تعال ، اذهب للولي الفلاني واذبح له وقل له يا ولي كذا كذا كذا .

فأنت قد تكون في تلك الساعة في ساعة ضيق وهم فقد تقع في هذا الأمر وأنت لا تشعر ؛ فهذا الرجل من أعوان الشيطان .

فإذا لم يكن عندك التوحيد القوي قد تقع في حبائله ، فإذا وقعت في الشرك ، وأنت تعلم أنه شرك و لكن للمصيبة أو للضيقة التي نزلت بك وقعت في ذلك فإنك لا تأمن أن الله لا يغفر لك شيئاً ، وأن تكون خالدًا مخلدًا في النار .

قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ فمن مات مشركًا ، كافرًا ، ملحدًا ، منافقًا نفاقًا اعتقاديًا زنديقًا فإن الله لا يغفر له ذنوبه ويخلده خالدًا مخلدًا في النار .

أسأل الله –عَزَّ و جَلْ– أن يحفظني وإياكم من ذلك ، وأن يجعلني وإياكم من المقيمين للتوحيد ومن البعيدين كل البعد من الشرك وحبائله ووسائله وصوره وأنواعه وعن معصية الله –عَزَّ و جَلْ– .

ثم قال بعد ذلك : "وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِد ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ " .

وهذا ماسنقف عليه إن شاءالله في اللقاء القادم يوم الجمعة ، سنقف بإذن الله على هذه الأربع القواعد وما يتعلق بها من تفاصيل .

أسأل الله –عَزَّ و جَلْ– أن يحفظني وإياكم من كل سوء ومكروه ، وأن يجعلني وإياكم من أهل السنة العالمين بها ، العاملين بها ، المستقيمين على هدي النبي –صَلَّى اللهَ عَلَيهِ وَ سَلَّم– وهدي أصحابه الكرام .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وانتظر معكم بارك الله فيكم كلمة لشيخنا الفاضل العلامة "حسن بن عبد الوهاب البنا" –حفظه الله تعالى– يُلقيها لأبنائه وبناته لطلابه وطالباته ، يُلقيها لكل مسلمٍ ومسلمة – جزاه الله خيرًا– على هذه المُشاركة ، ونسأل الله –عزَّ وجل– أن يحفظه من كل سوءٍ ومكروه وأن يُسدده وأن يُوفّقَه لكل خير.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَن والاه ،

أما بعد :

فهذه كلمة لشيخنا العلامة "حسن البنا " –حفظه الله تعالى– لأبنائه وبناته لطلابه وطالباته بمعهد الميراث النبوي –جزاه الله خيرًا.

تفضل يا شيخ –الله يحفظكم–،

الشيخ محمد عبد الوهاب البنا : وإياكم يا أخي

بسم الله والحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

أما بعد؛

فالذي أقوله مع الأخ الشيخ الدكتور الأخ الكريم " محمد بازمول " –بارك الله فيه– الأخ محمد سامحني ؟

الشيخ أحمد : أحمد ،أحمد

الشيخ حسن عبد الوهاب البنا : أحمد بازمول سامحوني ،الاثنين من كثر حبي لهم أحيانًا لا أستطيع أن أُفرِّق حينما أتكلم أتسرع في الكلام، فأنا قلت الشيخ محمد بازمول. ولكن أنا إن شاء الله أُدلي بدلوي في هذا المعهد الذي افتتحه فضيلة الشيخ الدكتور " محمد بازمول" يقصد " أحمد بازمول " وسبق أن عرّفتُ به وتعريفي لأخونا الكريم وإسوتنا الشيخ "ربيع"، ثم أنني قابلته أكثر من مرة هناك لما سافرت للسعودية في عمرات فهذا كله شرف لي أن أتكلم وأقول هذا الكلام ومشاهدةً مني ولكن أنا علمي لا يصل إلى علم الأخ الكريم جزاه الله خيرًا ،وليس هذا على سبيل المجاملة والإطراء ولكن هذا هو الواقع وهذا على أنا قدر نفسي إن شاء الله وأقول الحق مستعينًا بالله سبحانه وتعالى.

أبدأ كلامي بالآية الكريمة في سورة الشورى وهو قوله سبحانه وتعالى بعد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، قوله تعالى ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[23]

يا إخواني الكرام والإخوة الحضور المستمعون لهذه الكلمة أقول لكم هذا موضوع الساعة وموضوع كل ساعة حيث أن المسلمين قد اختلفوا في الدين كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في الحديث الصحيح) أن الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعون فرقة كلها في

[23] [الشورى: ١٣]

النار إلا واحدة( صدق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهذا قضاء الله الكوني امتحانًا واختبارًا للأمة.

ربنا –سبحانه وتعالى –يقول : ﴿شَرَعَ لَكُم ﴾

-من الذي شرع ؟

- الذي شرّع الله سبحانه وتعالى ، الله هو الذي يُشرِّع ، الرسول –صلى الله عليه وسلم– يُشرع بتشريع الله ﴿شَرَعَ لَكُم ﴾يقول يا ناس وهذه دعوة عامة لكل الناس ، في الحقيقة أن الإسلام ،دين الإسلام للناس عامة لا للمسلمين فقط ،للعرب فقط للناس عامة ، هذا تعليم من الله سبحانه) عالى الناس يكون لا حتى وتعالى حجة( من بعد الرسل .

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾ ذكر الدين ما وصى به نوحًا فالدين ليس من الدين أحد كل الرسل جميعًا كل الرسل دعوا إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ، أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، ما وصى به نوحًا، نوح عليه السلام أول نبي بعد آدم عليه السلام " نوح –عليه السلام– " .

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو –عليه الصلاة والسلام– قصته أو صراعه مع قومه من أجل الناس إلى نبذ الشرك والخلع من الشرك أن يخلعوا من ويدعو الشرك من يخرجوا أن الشرك

إلى التوحيد ،كونوا حنفاء أي يبتعدون من الشرك إلى التوحيد ورفض القوم إلا القليل وهذا الأمر العويدع جميعًا الرسل دعوة هو ظيم الناس إلى إخلاص الدين لله وربنا –سبحانه وتعالى– يقول :﴿ إِنَّا

﴿ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾) [الزمر ٢:٣]، الله –عز وجل– لا يُحب الدين المخلوط بل يحب الذي ليس فيه شرك، خالص لله –سبحانه وتعالى– .

﴿ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ ؛ النبي –صلى الله عليه وسلم – ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ " إبراهيم وموسى وعيسى –عليهم السلام– كان عندهم أصول، في دين ؛ دين الإسلام عندهم ودين التوحيد دعوا إليه وكان عند موسى وعيسى وغيرهم من أولي العزم وإبراهيم كان قبلهم أصول كان عندهم أصول يسيرون عليها ، الأمة تسير عليها ،وبعد ما حُرِّفت الكتب عند موسى وعيسى عليهم السلام حُرِفّت كتبهم التي أنزلها الله وتجد في كتبهم كما جاء في القرآن العظيم.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ "[التوبة : ٣٠] ،هل في التوراة التي أنزلها الله عزير ابن الله؟! ، هل في الإنجيل الذي أنزله الله عيسى بن الله ؟!! وكل هذا الذي اخترعوه وقالوا به وكفروا به وهذا الأمر العظيم وإن اختلقوا في الكتب بعض الأمور فيها فضائل وأشياء من رقائق الأخلاق وهذا لا يُغني[...] لأن أصل كتبهم قامت على الشرك –عافانا الله وإياكم– .

﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ " فوصية القرآن للمسلمين جميعًا أن يسيروا على الدين ولا يتفرقوا فيه ، والمسلمون عندهم في القرآن العظيم ذكر الكافرين والمنافقين

والمسلمين والمؤمنين وذكر الكافرين ولكن بعض المسلمين لم يهتموا بأمر أهل البدع ، "المبتدعة" الذين ابتدعوا اخترعوا الفرق؛ الفرق التي افترقت إليها الأمة كل أناس اتبعوا فرقة وساروا عليها إلا من رحم الله ، والمسلمون حينما يتكلمون عندنا وعند جزيرة العرب في بعض بلد الإسلام أو أكثر بلاد الإسلام إلا من رحمه الله ؛القضية خطيب يصعد على المنبر كل كلامه عن الذنوب والخطايا ولا يتكلم في توحيد وشرك ولا في بدع أي فرق وهذا فيه نقص كبير ولا يتكلم في أسماء الله وصفات الله وإذا ذكر أسماء [...] وهذا نقص في الدين إلا من رحم الله ، هذا الدين أهل السُنّة الذين يتكلمون في هذه الأمور والباقي لا يتكلمون ولكن الأمر العظيم الذي وقع فيه الناس هو الإفتراق ؛ افتراق الأمة ، الأمة افترقت إلى ثلاث وسبعين فرقة ، فربنا يوصي الرسل ويُوصي أتباع النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يُقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه؛ الدين واحد ليس هناك طريق إلا طريق واحد كما قال نوح عليه السلام لقومه : ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ "[نوح :٣] أي اعبدوا الله عن طريقي ولا تعبد ربك حسب ما ترى أو يرى غيرك من الناس ،لا اعبد ربك كما أنزل على الرسل عليهم السلام والخاتم محمد صلى الله عليه وسلم فاتبعوه إن شاء الله .

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ": المشركين ، وهذه الوصية في عدم التفرق في الدين وصية لكل المسلمين والآن وقعوا في التفرق حتى وصل الأمر إلى أن يقتل بعضهم بعض في خلاف عقدي لا خلاف سياسي ولا خلاف من أجل أشياء أُخر لا، هذا كله يُبيّن أن أهل السُنّة هم الذين أنجاهم الله أسأل ربي أن يُديم علينا الإيمان ويُثبتنا عليه ويهدي الناس إلى الدين الصحيح .

﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ":يعني هذا الأمر العظيم كبر عليه أن يقولوا "لا إله إلا الله "حينما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم : ( قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا كلمة تملكون بها العرب

تُدين لكم بها العجم فأبوا )ولأن هذا أمرٌ عظيم والله –سبحانه وتعالى– يختار ويشاء لهذا الأمر العظيم والذي يريد له خير يشرح صدره للإسلام والذي لم يُقدر له هذا الإيمان يكبر عليه أن يقول لا إله إلا الله ، وهذه نعمة أنعم الله بها علينا بالتوحيد وأن نقول لا إله إلاالله ونؤمن بها .

﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ " : الله أعلم بخلقه ويجتبي إلى هذا الدين العظيم من يشاء كما قال سبحانه وتعالى في الآية الكريمة : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ "[فاطر :٣٢] أول واحد فيهم الذي يُذنب ويُخطيء حتى لا يقول الخوارج هذا كفر بالمعصية أو يُخلد في النار إذا ما ماتوا هذا كله رد على هؤلاء الخوارج ، في الآية الكريمة التي أختم بها هنا ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ[الشورى: ١٣] ، ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ "[فاطر :٣٢] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ " [فاطر :٣٣] ربنا –سبحانه وتعالى– يجعلنا من هؤلاء ، ولكن هؤلاء الناس الذين اختلفوا في الدين والذين كذبوا به أسأل ربي أن يؤلف بين قلوب المسلمين وأن لا يُصيبهم الرياء أيضًا ،فالله –سبحانه وتعالى–

– من يستحق هذا الشرف يُعطيه إياه لمن ؟

– لمن يُنيب إلى الله ويرجع إلى الله وسمع كلام الله وسمع حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– وأناب إلى الله فالله يهديه –سبحانه وتعالى–

وهذه كلمة قصيرة تكلمت بها على غير استعدادسامحوني إن كنت انا لم أُوفق يعني كما أُحب وإن شاء الله مرة أخرى أتكلم معكم ، أُعد كلمات إن شاء الله وجزاكم الله خيرا على دخولكم في هذا المعهد " معهد الميراث النبوي " وربنا يجعله إن شاء الله من المعاهد السلفية ويجعله ثابت ويهدي الناس على يديه على يدين الشيخ بازمول وإخوانه المشايخ و[...]وسائر المسلمين

والصلاة والسلام على رسول الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الشيخ أحمد بازمول : جزاكم الله خيرا وجعل ما قلتموه وما ذكرتموه في ميزان أعمالكم وأنتم يا شيخ من شيوخنا الفُضلاء أعلم وأفضل –بارك الله فيكم– ونحن إن شاء الله على ما أنتم عليه من المنهج السلفي نستفيد منكم ونتعلم منكم –بارك الله فيكم–؛ فالعلم والمنهج السلفي مع أكابرنا فجزاكم الله خيرًا وجعل ما قلتموه في ميزان أعمالكم ، وما أنا إلا طالب من طُلابكم الله يحفظكم يا شيخ .

الشيخ حسن عبد الوهاب البنا : [...]

الشيخ أحمد بازمول : جزاكم الله خيرا، حفظكم الله

الله يحفظكم

الشيخ حسن عبد الوهاب البنا:[..]

الشيخ أحمد بازمول :جزاكم الله خيرا

الشيخ حسن عبد الوهاب البنا :السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الشيخ أحمد بازمول :وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

فريق صيانة السيلفي

# القواعد الأربع

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧ \ ١٤٣٦ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

https://www.facebook.com/ahmedbazmoo?ref=hl
/http://www.ahmedbazmool.com

# الدرس الثاني من شرح القواعد الأربع

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحَمْدَ لِلّهِ ، نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وإِنَّ أَصْدَقَ الكلامِ كلامُ اللهِ ، وَخَيْرَ الهُدى هُدى مُحَمَّد ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَة ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فلازال الحديث موصولًا بدراسة وتدارس القواعد الأربع لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب – رحمه الله تعالى – .

وكان قد قرر فيما قد سبق ما يتعلق ببيان التّوحيد وبيان الحنيفيّة وهي أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين ثم بيَّن – رحمه الله تعالى – ما يتعلق بخطورة الشّرك وأن الشرك يحبط العبادة وأن العبادة لا تُسمى عبادةً إلا مع التّوحيد كما أن الصلاة لا تُسمى صلاةً إلا مع الطهارة ، وأنه كما يُفسد الحدث الطهارة والصّلاة كذلك يفسد الشرك العمل .

ثم بيَّن أيضًا أن الشرك شبكة خطيرة على العبد أن يتخلّص منها وأن يعرف حبائل وطرق الشرك ليجتنبه وذلك لأن الشرك محبط للعمل وصاحبه خالد مخلد في النار .

قال الشيخ – رحمه الله تعالى – " وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ " يعني –رحمه الله تعالى– أن التخلص من الشرك والتخلص من البدع والضّلالات والتخلص من الباطل لابد أن يكون عن طريق الوحي الشرعي ، فالتخلص من الشرك بمعرفة أربع قواعد مذكورة في كتاب الله – عزّ وجلّ – ، يعني أن الشيخ – رحمه الله تعالى – لم يأتِ بها من تلقاء نفسه ولم يخترعها بل هو متّبع لنصوص الكتاب والسنّة وما كان عليه سلف هذه الأمة .

وهذه الأربع قواعد إذا تعلمها العبد وعرفها المعرفة الصحيحة فإنه –إن شاء الله– ينتفع بها في التخلص من الشرك .

وقوله –رحمه الله تعالى – " بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ " يعني أربع أصول من القرآن العظيم .

قال – رحمه الله تعالى –[ الْقَاعِدَةُ الأُولَى ] :

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ –تَعَالَى– هُوَ الْخَالِقُ ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلَهُمْ فِي الإِسْلامِ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ

والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ [1].

هذه القاعدة الأولى التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب .

**وخلاصة هذه القاعدة :** أن إقرار المشركين بتوحيد الرّبوبيّة لم يُدخلهم في الإسلام لأنهم لم يأتوا بتوحيد الألوهيّة .

- لمـــــــــــاذا ؟

- لأنهم لم يأتوا بتوحيد الألوهيّة ، بمعنى لم يُفردوا العبادة لله – عزّ وجلّ –

قال وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ ﴾ [2].

- يعني هؤلاء المشركون لو سُئلوا مَن الذي رزقهم ؟

- ومن الذي يملك السمع والأبصار ؟

- ومَن الذي أخرج الحي من الميت وأخرج الميت من الحي ؟

- ومَن الذي يدبر الأمر ؟

- فسيقولون الله فهم إذًا مقرّون ومعترفون بأن الله – عزّ وجلّ – بيده هذه الأمور كلها ؛ فإذًا إذَا كنتم تقرّون بذلك فالواجب عليكم أن تصرفوا جميع أنواع العبادة لله .



---

([1]) [يونس: ٣١]
([2]) [يونس: ٣١]

﴿ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ أي : كيف تشركون بالله – عزّ وجلّ –الذي تقرون أنه بيده هذه الأمور كلها !!

فالواجب عليكم ، " معرفة أن " توحيد الرّبوبيّة يستلزم توحيد الألوهيّة لأن الخالق ، الرازق ، المدبّر للأمر – سبحانه وتعالى – هو المستحق لأن تكون جميع العبادات مصروفة له –سبحانه وتعالى– ولا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادات من دعاء أو ذبح أو طواف أو توكل أو غير ذلك لغير الله – عزّ وجلّ – لأن صرفها لغير الله هي صرفها للمخلوق .

والخالق – سبحانه وتعالى –هو الذي يستحق جميع أنواع العبادات لذلك قال لقمان لابنه ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٣]

– هذه القاعدة مهمة .

– لمـــــــاذا ؟

– لأن بعض الناس لـمَّا تنكر عليه ما يقع فيه من شرك من ذبح لغير الله ، أو دعاء لغير الله ، أو نذر لغير الله ، يقول لك يا أخي أنا أقول الله هو الخالق الزارق المدبّر وأعتقد أن الأمور كلها بيد الله وأن الله – عزّ وجلّ – بيده الأمور كلها و و و إلى آخره فأنا لست مشركا !

فالشيخ يقول لنا ويعلمنا : اعلموا أن المشركين الأولين كانوا يقرّون بتوحيد الرّبوبيّة فلم ينفعهم ذلك .



(3) [لقمان:١٣] .

هذه القاعدة الأولى .

[ القاعدة الثانية ] :

ذكرها بقوله : أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[4] وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾[5]

القاعدة الثانية : خلاصتها كما ذكر الشيخ محمد أمان الجامي – رحمه الله تعالى – في شرحه للقواعد الأربع قال : ( مُلخّصها أن عبادة المشركين لآلهتهم كانت من قبيل الوساطة والشفاعة ، لا لأن آلهتهم تخلق أو ترزق أو تضرّ أو تنفع ) .

إذًا ملخص هذه القاعدة أن عبادة المشركين لآلهتهم كانت من قبيل الوساطة والشفاعة لا لأن آلهتهم تخلق أو ترزق أو تضرّ أو تنفع .

الشيخ – رحمه الله تعالى – محمد بن عبد الوهّاب يقول : " إِنَّهُمْ يَقُولُونَ " أي الكفار أي المشركون الذين نزلت فيهم هذه الآيات والذين دعاهم النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم –للتّوحيد لأنهم لم يحققوا توحيد الألوهيّة ، قالوا : " مَا



( [4] الزمر: ٣] .
( [5] يونس:١٨ ]

دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ " يعني هؤلاء المشركون الذين عبدوا الأصنام والذين عبدوا ما عبدوا من دون الله – عزّ وجلّ – يقولون نحن ما توجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة فليسوا هم مقصودين بالعبادة وإنما هم يقربونا إلى الله – عزّ وجلّ – هذه القربة والشفاعة ؛ أي اتخذناهم وسطاء وشفعاء بيننا وبين الله – عز وجل –

قال الشيخ –رحمه الله تعالى– فدليل القربة : أي دليل زعم المشركين أنهم اتخذوا هذه الأصنام وهذه الآلهة لتقربهم من الله ، قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[٦] تأمل – بارك الله فيك قوله – عز وجل – : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ – أي من دون الله – أَوْلِيَاءَ ﴾ يعني ليست آلهة هم يعرفون أنهم أولياء ، من ملك من الملائكة أو رسول أو نبي أو رجل صالح ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ أي ما نتوجه إليهم وما ندعوهم إلا لطلب القربى عند الله –عز وجل –

وتأملوا أنهم يعترفون أنهم عبدوا هذه الأصنام ، ولكن هم يقولون لا نعبدها لذاتها ولكن نعبدها لتقربنا إلى الله –عز وجل– فقال : ﴿ مَا نَعْبُدُهُم ﴾ أي ما نتوجه لدعائهم ولطلب الشفاعة منهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يعني الله –عز وجل – يوم القيامة سيبين لهم وسيعاقبهم على شركهم به –سبحانه وتعالى– ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ فهاتان صفتان لهؤلاء :



(٦) [الزمر ٣]

أولًا : أنهم كذبة ، فهم عبدوا هذه الأصنام وهم توجهوا لها من دون الله ، وأعطوها من الصفات ومن الأمور ما لا يعطون لله –عز وجل – وهم كفار لأنهم أشركوا بالله –عز وجل– ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّار ﴾ هذا دليل القربة .

وأما دليل الشفاعة ، قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّه ﴾ فهنا الله –عز وجل – وصف عبادتهم وطلب الشفاعة من هذه الأصنام ، أو من تلك المعبودات والآلهة بأنها عبادة ، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ ﴾ يعني ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ، لأنهم إن كانوا أحجارا .

– فماذا يفعلون ؟!

– وإن كانوا أمواتا فلا شيء في أيديهم ، بل لا يستطيعون نفع أنفسهم ، ولا ضر أنفسهم ، قال : ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّه ﴾ يفترون على الله الكذب ؛ يزعمون أن هذه الآلهة يعبدونها من دون الله –عز وجل– لتشفع لهم عند الله –عز وجل–

إذًا فالقاعدة الثانية ؛ عبادة المشركين لآلهتهم كانت من قبيل الوساطة والشفاعة ، لأن بعض الناس قد تنكر عليه دعاء غير الله ، من السيد الفلاني ، أو الحسين أو علي ، أو الولي الفلاني ، فيقول لك يا أخي أنا ما أعبده أنا جعلتهم قربة بيني وبين الله ، أو جعلتهم وساطة بيني وبين الله .

فنقول :– بل هي عبادة فإن الله –عز وجل – قد وصف فعلهم بأنه عبادة ،

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُم وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾ ثم أيضًا نقول لهؤلاء الذين يتخذون هؤلاء الأولياء آلهة من دون الله ، نقول لهم هذا عين قول المشركين : أنهم اتخذوا هذه الآلهة ليقربوهم إلى الله زلفى وأنهم وسطاء وشفعاء من دون الله ؛ فإذًا ينبغي علينا أن نتنبه لهذه الشبهة ، التي نشرها وينشرها هؤلاء الذين يدعون الناس إلى الشرك .

قال الشيخ –رحمه الله تعالى– : والشفاعة شفاعتان ، شفاعة منفية وشفاعة مثبتة ، هؤلاء يزعمون أن هذه الآلهة تشفع لهم ، فالشيخ –رحمه الله تعالى – بين أن الشفاعة جاءت في الأدلة الشرعية على نوعين : شفاعة منفية وشفاعة مثبتة .

– ما هي الشفاعة المنفية ؟

– قال فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله والدليل قوله تعالى :﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ فنفى الله – عز وجل– الشفاعة في قوله ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ﴾ فهذه الشفاعة المنفية .

– وما معنى كونها منفية ؟

– يعني أنها غير مقبولة ولا يُعمَل بها ، بل هي باطلة ، والله قد نفاها ولا شفاعة ، فالذين يطلبون من السيد الفلاني أو الصالح الفلاني أو الولي الفلاني أن

يشفع لهم فهذه شفاعة منفية وهي التي تُطلَب من غير الله وإنما الشفاعة تطلب من الله –عز وجل– ولذلك بينها –رحمه الله تعالى– بقوله .

والشفاعة المثبتة ؛ ومعنى المثبتة يعني الشفاعة التي جاء بها الشرع ، وذكرها الشرع وأنها يُعمل بها .

– ما هي الشفاعة ؟

– قال هي التي تطلب من الله ، قال : والشافع مكرم بالشفاعة ؛ أي أن الله – عز وجل– إذا أذن للشافع يوم القيامة أن يشفع فهذا من باب الكرامة ومن باب الإكرام ومن باب الإحسان والإنعام .

قال : والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن ، كما قال تعالى : ﴿مَن ذَا الذي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾إذًا الشفاعة المثبتة لابد فيها من شروط

– الشرط الأول : أن تطلب من الله – عز وجل – فلا تطلب من فلان ولا فلان ، إنما تطلب من الله – عز وجل – .

– الشرط الثاني : الرضا عن الشافع فإذا كان الشافع مثلًا كافرًا أو كان الشافع منافقًا فإنه لا تقبل شفاعته ، وليس له الشفاعة فهو داخل في الشفاعة المنفية .

فلابد أن يكون الشافع ممن يكرمه الله –عز وجل– بالشفاعة ، وهم أهل الإسلام والإيمان ، هذا الشرط الثاني .

– الشرط الثالث: الرضا عن المشفوع له ، بأن يكون مات على الإسلام ومات على التوحيد ، فإن الكافر أو المنافق هؤلاء لا يشفع لهم لأن

هؤلاء قد غضب الله عليهم .

فهذه الشفاعة المثبتة التي تطلب من الله وأن يكون الشافع والمشفوع له قد رضي الله –عز وجل– عنهما .

لذلك هؤلاء حين يزعمون أن الشفاعة تطلب من هؤلاء الأولياء إنما يزعمون باطلًا من القول ، لأن هذه الشفاعة هي الشفاعة المنفية .

قال ابن القيم الجوزية –رحمه الله تعالى– : لا شفاعة إلا بإذنه ؛أي – بإذن الله تعالى – ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله –صلى الله عليه وسلم– .

فإذًا هذه هي الشفاعة المثبتة ؛ وأهل السنة يثبتون الشفاعة وأنها أنواع ، فالشفاعة العظمى تكون للرسول –صلى الله عليه وسلم– في أرض المحشر ، حين يذهب الناس إلى الأنبياء ثم ينتهون إلى النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–

فيقول : أنا لها أنا لها فيذهب ويسجد فيُفتح عليه من محامد الله والثناء عليه وشكره ثم يقال له : ارفع رأسك واسأل تعط واشفع تشفع .

ثم شفاعة الملائكة وشفاعة الصالحين وشفاعة أهل الجنة لبعض أهل الجنة في علو منزلتهم إلى آخره من أنواع الشفاعات .

وقد أنكر الشفاعة لأهل الكبائر أنكرها المعتزلة والخوارج لأنهم يُكفِّرون أهل الكبائر ، والصحيح أن أهل الكبائر تحت المشيئة وأن الشفاعة ثابتة لهم إن رضي الله –سبحانه تعالى–؛ بالشروط السابقة .

فإذًا خلاصة هذه القاعدة كما سبق أن عبادة المشركين لآلهتهم كانت من قبل الوساطة والشفاعة لا لأنهم آلهتهم تخلق أو ترزق أو تضر أو تنفع .

## القاعدة الثالثة :

أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِم ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ .

–خلاصة هذه القاعدة : أن كل ما عبد من دون الله أو نقول أن عبادة أي شيء من دون الله –عز وجل –هي شرك وكفر سواء كانت للملائكة والأنبياء والصالحين أو كانت للشجر والحجر أو الشمس والقمر أو أي شيء كان

– لمـــــــاذا ؟

– لأن بعض الناس يقول : العبادة الشركية هي عبادة الأصنام ، هي عبادة الشمس والقمر ، وأما دعاء الأولياء ومحبتهم وإعطاؤهم بعض الصفات وصرف بعض أنوع العبادات لهم هذه لا تسمى شركا لأن الشرك لا يكون إلا للحجر و الصنم والشجر ويعني الشمس والقمر .

أما عبادة الأنبياء أو الأولياء أو الملائكة ودعاؤهم فهذه ليست عبادة وليست شركًا .

فبيَّن الشيخ – رحمه الله تعالى – بهذه القاعدة أن صرف أي نوع من أنواع

العبادة لغير الله هي شرك سواء كان عبدًا صالحًا أو ملكًا أو رسولًا أو حجرًا أو شجرًا أو قمرًا إلى آخره .

- إذًا ما الدليـــــــل ؟

قال النبي –صلى الله عليه وسلم– قاتل جميع هؤلاء ، فهناك كان من يعبد رجالًا صالحين كاللَّات وهناك من كان يعبد عيسى كالنصارى وهناك من كان يعبد الشمس والقمر والحجر فقاتلهم النبي –صلى الله عليه وسلم– ولم يفرق بينهم في ذلك ، لأنهم كلهم صرفوا أنوعا من العبادة لغير الله فهم مشركون كفار .

لذلك المصنف –رحمه الله تعالى – الإمام محمد بن عبد الوهاب بيَّن لنا بهذه القاعدة أن كل هذه المسميات إذا صرفت العبادة لهم فهي من باب الشرك واتخاذ الأنداد من دون الله –عز وجل– .

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ ﴾[٧].

- الدليل على مـــــــــاذا ؟

- الدليل على أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قاتلهم جميعًا .

- أين وجه الاستدلال ؟

- وجه الاستدلال العموم في قوله تعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ﴾ لما ذكر المشركين قال وقاتلوهم لم يقل مثلًا قاتلوا عباد الأصنام قاتلوا عباد الشمس والقمر وإنما ذكر

(٧) [الأنفال: ٣٩]7

المشركين ثم قال وقاتلوهم فدلَّ هذا على :

أن الله – عز وجل – أمر نبينا محمدًا –صلى الله عليه وسلم– وأمرنا معه – صلى الله عليه وسلم –أن نقاتل جميع المشركين على جميع أحوالهم وأصنافهم فلا يُفرَّق بين من كان يعبد حجرًا أو كان يعبد وليًّا صالحًا أو نبيًّا مرسلًا أو ملكًا مقربًا ، فكلهم مشركون لأنهم صرفوا العبادة لغير الله – عز وجل – .

فقوله ﴿ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾؛ أي حتى لا يكون شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ ﴾يعني تكون العبادة خالصة لله –عز وجل– وبهذا قال جماعة من المفسرين قالوا : ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾؛ أي حتى لا يكون شرك فالله –عز وجل– أمرنا بذلك حتى لا يكون شرك بالله – عز وجل – وحتى يُعبد – سبحانه و تعالى –وحده لا شريك له .

قال الشيخ –رحمه الله تعالى– وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٨].

فهذه الآية دالة على أن هناك من كان يسجد للشمس والقمر وأن الله –عز وجل– نهى عن السجود للشمس والقمر وأمر بالسجود له لأنه – سبحانه وتعالى – هو المستحق لهذا السجود لذلك قال :﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ فهذا السجود عبادة ولا ينبغي أن يكون إلا لله – عز وجل –، ولذلك نُهِيَ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها .

– لمـــــاذا ؟



٨) [فصلت: ٣٧]

– لأن الشيطان يرقب الشمس بمعنى يتحين ويراقب الشمس ، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان ، حتى إذا كانت عند غروبها أو عند طلوعها فإنه يجعلها بين قرنيه .

ولذلك نهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، إرغامًا للشيطان وإبعادًا وحمايةً للتوحيد .

وهذا كما ذكر العلماء النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لغير سبب ، أما لو كانت لذات سبب كتحية المسجد أو صلاة جنازة أو نحو ذلك أو صلاة فائتة فإن المسلم يصلي لله – عز وجل – ولكن أن يقوم المسلم ويتطوع تطوعًا مطلقًا عند طلوع الشمس أو عند غروبها فإنه منهي عن ذلك ؛ لأن الشيطان –كما سبق –كما جاء في الدليل يرقب ذاك الوقت فيقف فتكون الشمس أو القمر بين قرنيه والنبي– صلى الله عليه وسلم– قال : تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا .

قال الشيخ – رحمه الله تعالى – : وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً ﴾[٩] ؛ أي معبودون من دون الله – عز وجل – فلا تعبد الملائكة من دون الله – عز وجل –

:﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً ﴾ يقول الله – عز وجل –:



(٩) [ سورة البقرة]

﴿ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[10] فلو اتخذ أحد الملائكة أربابًا فقد كفر ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ فالأنبياء و الرسل منزهون عن ذلك – صلوات ربي وسلامه عليهم –

فهذا دليل على أن هناك من اتخذ الملائكة أربابًا من دون الله .

قال : ﴿ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً ﴾ أيضًا ،كذلك النبيين ولكن أفردهم الشيخ – رحمه الله تعالى – في الدليل التالي حيث قال :

وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾[11].

هذه الآية أيضًا دالة على أن هناك من يعبد الأنبياء وأن من عبد الأنبياء فقد أشرك بالله – عز وجل – فيوم القيامة يقول الله – عز وجل – لعيسى – عليه الصلاة والسلام – ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ هذا السؤال ليس من باب طلب الجواب ولكن هذا من باب توبيخ المشركين والإنكار عليهم يعني لا حجة لكم في عبادة عيسى أو عبادة مريم أو عبادة أحدٍ من دون الله – عز وجل – فعيسى – عليه الصلاة و السلام – لم يقل للناس اعبدونِ واعبدوا أمي واتخذون إلهين من دون الله ، قال عيسى ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ ؛ أي أنزهك يا ألله فأنت الخالق المستحق للعبادة ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ؛ ليس لي



(10) سورة آل عمران (٨٠)
(11) سورة المائدة (١١٦)

أن أدعو الناس لعبادة غيرك فهذا ليس لي ، ثم قال : ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾؛ أي يا رب إن هذا الأمر لا يخفى عليك فأنت علَّام الغيوب

قال العلماء وفي الآية إثبات صفة النفس لله – عز وجل – كما في قوله – عز وجل – ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴿٣٠﴾ ﴾[12] فنحن نؤمن بأن لله – عز وجل – نفسًا تليق بجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[13] ؛ فإذًا هذا دليل الأنبياء .

ثم قال الشيخ – رحمه الله – وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾[14]

معنى هذه الآية : أن الأولياء والأنبياء والصالحين الذين يدعونهم المشركون من دون الله هؤلاء الأنبياء والصالحون والأولياء هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة يرغبون ويطلبون إلى الله الوسيلة والقربة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه هؤلاء الأنبياء والرسل والصالحون والأولياء ؛ فإذا كان هؤلاء الأنبياء والرسل والصالحون إذا كان هؤلاء هم أنفسهم يعبدون الله ولا يشركون به فكيف تشركونهم بالله – عز وجل –

فالله – عز وجل – يقول للمشركين الذين تدعونهم من دون الله يدعون الله وحده لا شريك له .

– فلماذا لا تكونون مثلهم فتدعون الله وحده لا شريك له ؟



(12) سورة أل عمران (٣٠)
(13) سورة الشورى (١١)
(14) سورة افسراء (٥٧)

– ولو كان هؤلاء المدعوون من دون الله من الصالحين ونحوهم لو كان بيدهم شيء لنفعوا أنفسهم في قبورهم ولكن ليس بيدهم شيء وقد انقطع عملهم بموتهم ، انقطع عمل الصالحين بموتهم إلا من ثلاث كما في الحديث ؛ فإذًا هؤلاء يعبدون الله ويبتغون إليه الوسيلة ويرجون القربة إليه – سبحانه وتعالى – ويرجون رحمته ويخافون عذابه .

ثم قال : وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾[1].

قال ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ ﴾ .

اللَّات : قالوا رجل صالح بالطائف كان يلُتُّ السويق للحجاج ، فعُبد من دون الله – عز وجل– لما مات

والعزَّى : شجرة كانت تحل بها جنية تكلم الناس وكانوا يطوفون حولها و يذبحون لها ؛ وهي التي قال فيها بعض المشركين حينها : " والعزى لنا ولا عزى لكم " فرد عليهم النبي – صلى الله عليه وسلم – وأمر الصحابة أن يقولوا : " الله مولانا ولا مولى لكم " وكان ممن قال ذلك أبو سفيان حال كونه مع المشركين ثم أسلم – رضي الله عنه وأرضاه – بعد ذلك .

وأما مناة : فكانت بين مكة والمدينة وكانت خزاعة وبعض القبائل يعظمونها و يُهِلُّون منها للحج ويعبدونها من دون الله – عز وجل –



[1] ١٣[النجم: ١٩، ٢٠]

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَمَنَاةَ﴾ صخرة ، اللات رجل صالح والعزى شجرة كانت بها جنية ومناة صخرة كانوا يهلون منها ويريقون عندها الدماء تبركًا بها .

فدلت هذه الآية على أن هذا الأمر وقع وأن هناك من يدعو الأحجار والأشجار وأنه شرك وكفر بالله .

قال : وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ[١].

مراد الشيخ – رحمه الله تعالى – بهذا الحديث بيان حال المشركين الذين كانت لهم سدرة ؛ شجرة يعكفون عندها " ينطون بها أسلحتهم " ؛ يعلقون عليها أسلحتهم .

– لماذا يعلقون أسلحتهم ؟

– كان المشركون يعتقدون أن هذه السدرة " الشجرة " إذا علقوا عليها أسلحتهم ؛ انتصروا على عدوهم وقويت أسلحتهم واشتد أمرهم فعبدوا الأشجار من دون الله – عز وجل –

والصحابة – رضوان الله عليهم – كما وصفهم أبو واقد الليثي كانوا حدثاء عهد بكفر يعني أسلموا من قريب وهم " مسلمة الفتح " – رضي الله عنهم وأرضاهم – ولم يطلبوا هذا الأمر من النبي – صلى الله



١٤رواه الإمام أحمد٢١٣٩٠، والترمذي ٢١٨٠ ، وقال: حسن صحيح، وابن أبي عاصم في السنة، وقال المناوي: إسناده صحيح، وصححه الألباني في رياض الجنة رقم ٧٦

عليه و سلم – من باب عبادة أو التعلق بغير الله – عز وجل – وإنما وقع هذا منهم كما بين أهل العلم وكما في قول أبي واقد – رضي الله عنه أنهم كانوا حدثاء عهد بإسلام ولا يجوز لمسلم أن يقول إن هؤلاء الصحابة قلوبهم معلقة بالشرك أو أن في قلوبهم شيئ من الشرك ، أو أنهم أرادوا أن يتخذوها من دون الله كما بين ذلك أهل العلم فإن الصحابة منزهون عن ذلك ولا يجوز لمسلم أن يذكر الصحابة بسوء ولو على سبيل الاحتمال فإن الصحابة – رضوان الله عليهم – مبرؤون من ذلك

ولذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أورد هذا لقوله في الرواية " وَلِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنَوّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ " فدل هذا على أنهم عبدوا الشجرة من دون الله – عز وجل –

إذا القاعدة الثالثة كما سبق خلاصتها : أن صرف أي نوع من العبادة لغير الله هو شرك سواء كان ملكًا أو رسولًا أو صالحًا أو حجرًا أو شجرًا أو شمسًا أو قمرًا أو بقرًا كما عند الهندوس الذين يعبدون البقر من دون الله – عز وجل – نسأل الله السلامة والعافية ؛ فإذًا كل هذه صرفها لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة .

[ القاعدة الرابعة ] : أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ، لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ

دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[٧] [١].

هذه القاعدة الرابعة خلاصتها : أن بعض أنواع الشرك الذي وقع فيه بعض المسلمين اليوم أشد وأغلظ من الشرك الذي وقع فيه المشركون الأولون .

- من هم المشركون الأولون ؟

- هم الكفار الخُلَّص الذين كانوا في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم - وقاتلهم وحاربهم ودعاهم للتوحيد .

- من مشركو زماننا ؟

- مراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- بمشركي زماننا : أي الذين وقعوا في هذا الشرك وأُنكر عليهم ولازالوا مصرين على ما هم عليه، بعد بيان الحجة لهم ، أو أن يكون مُراده - رحمه الله تعالى - من وقعوا في الشرك مطلقًا دون تكفير لهم إلا بعد بيان الحجة وقيامها عليهم ، فليس مُراده - رحمه الله تعالى - تكفير كل من وقع في الشرك من أهل الإسلام لأنه لابد من بلوغ الحجة ؛ فإن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من أهل العلم يعذرون بالجهل ' طيب' .

- ما وجه كون هؤلاء الذين أشركوا في زماننا أغلظ وأشد من المشركين الأولين ؟

- هو ذكر لنا مثالًا هنا



١٥ [العنكبوت: ٦٥]

- ما هو هذا المثال ؟

- المشركون الأولون الذين ظهر عليهم النبي –صلى الله عليه وسلم – ودعاهم إلى التوحيد ولم يؤمنوا ولم يسلموا كان حالهم في السراء ؛ أي في حالة الأمن والاطمئنان كانوا يشركون بالله ، ولكن كان المشركون إذا ركبوا في الباخرة ، في السفن في الفلك ودخلوا في البحر وأصابتهم المصيبة بأن ماجت الأمواج ، وارتفعت وقرب هلاكهم

- مـــاذا يفعلون ؟

– ينسون أصنامهم وينسون معبوداتهم من دون الله – عز وجل – .

- ماذا يفعلون ؟

– يدعون الله

- ما صفة دعائهم ؟

– مخلصين له الدين ، يعني تتعلق قلوبهم بالله بالكلية ولا تلتفت أبدًا لتلك الأصنام التي طافوا حولها وذبحوا لها ونذروا لها وسجدوا لها وعكفوا عندها لا يلتفتون لها في حالة الضراء في حالة المصيبة .

فهم في السراء يشركون وفي الضراء يخلصون ، هؤلاء المشركون الأولون أما المشركون اليوم فإنهم ممن هم من أهل الإسلام فإنهم إذا ركبوا في السفن وأصابتهم المصيبة فإنهم لا يقولون يا الله إنما يقولون يا حسين ، يا سيد البحر ، يا فلان أغثنا أنقذنا ، فهم يشركون في السراء والضراء .

فهم من هذه الحيثية أشد شركًا من المشركين الأولين ، وأيضًا المشركون

الأولون كما ذكر الله –عز وجل – عنهم في الآية التي ذكرها الشيخ – رحمه الله تعالى– في القاعدة الأولى :

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ ﴾[1] .

كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق مدبر الأمر ، هؤلاء المشركون الأولون ؛ أما مشركو زماننا فإنهم يعتقدون أن بعض ساداتهم وأوليائهم يتصرفون في الكون وأن بيدهم الرزق ، رزق المال أو رزق الولد الخ ، فصرفوا بعض صفات الربوبية لغير الله – عز وجل – ، وصرفوا بعض أنواع العبودية لغير الله – عز وجل – ، فمن هذه الحيثية كان شركهم أغلظ من شرك الأولين .

– هذه القاعدة ما ملخصها ؟

– ملخص هذه القاعدة أن صرف أي شيء من أنواع توحيد الربوبية ومن أنواع توحيد الألوهية لغير الله – عز وجل – أو أن نقول أن صرف أنواع من توحيد الربوبية وأنواع من توحيد الألوهية لغير الله – عز وجل – هو أغلظ من شرك الأولين الذين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ويخالفون في توحيد الألوهية ، وأما المشركو في زماننا وفي زمان المصنف –رحمه الله تعالى– فإنهم يقعون في شرك الربوبية وشرك الألوهية ، وكما ذكر الشيخ العلامة محمد أمان الجامي –رحمه الله تعالى– عند هذه



[18] ( سورة يونس(٣١)

القاعدة أن المسلم إذا وقع في بعض هذه الأنواع ولم تبين له الحجة ولم يبلغه العلم بأنما هو فيه من الشرك أنه يُعذر بجهله .

شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى – رد على بعض العلماء قولهم في باب من أبواب الأسماء والصفات وفي بعض أنواع توحيد الألوهية .

ثم قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب هذا كفر وأنا لا أكفركم لجهلكم ، هذا كلام يقوله شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى – لعلماء ضلوا في باب التوحيد وعندهم شُبه وجهل في باب التوحيد فعذرهم بجهلهم ،

- فقولوا لي بربكم ما بال عوام الناس !!!

ولذلك مما يدل على خبث وقبح وشدة رداءة مذهب الحدادية أنهم يكفرون عوام المسلمين ، بل حتى يكفرون أباءهم وأمهاتهم وأهليهم ، ولا يعذرونهم بالجهل ، بل حتى العلماء الذين يقولون بالعذر من الجهل فإن الحدادية يكفرونهم ، مع أن هؤلاء العلماء يقولون بالعذر بالجهل بالحجة والبرهان لا بالهوى مع ذلك الحدادية يكفرونهم ، فعندهم أن من وقع في الكفر كافر وأن من لم يكفر الكافر فهو كافر ومن عذر الكافر فهو كافر .

انظروا إلى هذا التسلسل القبيح ، ولذلك أن الحدادية أصل منهجهم التكفير ؛ هم تكفيريون – نسأل الله السلامة والعافية – إذًا هذه القاعدة الرابعة وبها تتم الرسالة .

تمت وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وهذه الرسالة كما سبق من الرسائل المفيدة والمهمة كما وصفها الشيخ ابن باز –رحمه الله تعالى– في أول شرحه للقواعد الأربع حيث قال – رحمه الله – فهذه القواعد قال الشيخ ابن باز :– " فهذه القواعد الأربع نبه عليها المؤلف –رحمه الله– وهي قواعد مهمة فمن عقلها وفهمها جيدًا فهم دين المشركين وفَهِمَ دين المسلمين ، وأغلبُ الخلق لا يفهمُ هذه القواعد ، ولهذا التبست عليهم فعبدوا القبور وأصحابها ، والأولياء ، والأشجار ، والأحجار من دون الله ؛ وهم يحسبون أَنَّهم على شيء لجهلهم بحقيقة التوحيد وحقيقة الشرك ".انتهى.

أي ، لما صرفوا هذه الأنواع لغير الله ، إنما صرفوها بسبب جهلهم بحقيقة التوحيد وجهلهم بحقيقة دين المشركين – نسأل الله السلامة والعافية – .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

طيب، وهنا تنبيهات :

– أما التنبيه الأول :

فهذه الرسالة " القواعد الأربع " أرويها بنفس السند الذي رويت فيه " الأصول الثلاثة "، وكذا أروي " الأصول الستة " وهذه القواعد الأربع .

وقد أجزت جميع طلاب وطالبات معهد الميراث النبوي بالسند السابق لهذه الرسالة .

– التنبيه الثاني :

الذي أريد أن أنبه عليه ، وهو أننا سنقف لمدة أسبوعين –بإذن الله تعالى– لأجل الاستعداد والتهيؤ للاختبار في متن " أصول السنة " وفي متن " القواعد الأربع " – و أيضا– وبعد الاختبار تأخذون شيئا من الراحة ثم – إن شاء الله تعالى – ستكون هناك يعني عودة للدراسة بعد هذين الأسبوعين فآمل من الجميع أن يدرسوا " أصول السنة " و" القواعد الأربع " ، و يفهموها فهما جيدًا وأن يستعدوا للاختبار .

– التنبيه الثالث :

الذي أود أن أنبه عليه : قد تكون – إن شاء الله – هناك محاضرة أو محاضرتين ، وقد تكلمت مع شيخنا محمد بن عمر بازمول – جزاه الله خيرا – وطلبت منه أن يشارك معنا بمحاضرة في معهد الميراث النبوي فرضي ووافق – جزاه الله خيرًا – وسر بذلك ، ودعا لنا جميعا بالتوفيق – جزاه الله خيرًا – .

فإن شاء الله سوف تكون هناك محاضرة بعد الاختبار ، بعد أن تختبروا في المتنين "أصول السنة " و" القواعد الأربع " مع حفظ المتنين ، هذا – أيضًا – أمر مهم ، أن تحفظوا المتنين ؛ وسيكون هناك الاختبار في هذا المحفوظ ؛ ولكن بعد الاختبار ستكون – إن شاء الله –محاضرة أو محاضرتين منها للشيخ محمد بن عمر بازمول ، وقد كلمته في ذلك ووافق ورضي – جزاه الله خيرًا– ودعا لنا جميعا بالتوفيق والسداد ومواصلة مدارسة العلم ومذاكرته .

وقال : أنتم بفضل الله – عز وجل – في معهد الميراث النبوي في خير وفي تدارس للعلم وهذا – إن شاء الله – أمر تؤجرون عليه عند الله –عز وجل–.

طيب . وأيضًا سأطلب من بعض المشايخ ، ربما –إن شاء الله– إذا وافقوا نظرا لأوقاتهم وظروفهم ستكون هناك محاضرات لبعض المشايخ كالشيخ خالد بن عبد الرحمن ، أو الشيخ عادل منصور أو غيرهم من المشايخ الذين تتهيأ لهم الفرصة –بإذن الله تعالى– للمشاركة معنا في هذا الصرح العلمي ؛ الذي أسأل الله – عز وجل – لي ولكم الإخلاص في القول والعمل ، وأن يكون قولنا وعملنا خالصا لوجه الله – عز وجل – ، لا رياء فيه ولا سمعة ، ونسأله – سبحانه وتعالى – أن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

– هذا سؤال يقول ، وأختم به الكلام هذا سؤال يقول: شيخنا – حفظكم الله – لا شك أنكم تعرفون الحملة الشرسة على العلامة ربيع المدخلي من طرف الحدادية بتعاون مع الإخوان والحلبية ومن هم على شاكلتهم ؛ ولا يخفاكم ما يقومون به – في ليبيا خاصة – من رفع لافتات للتحريض على الشيخ ربيع والطعن فيه... فنريد منكم شيخنا كلمة حق في هذا العالم الجليل يقطع ألسنة المغرضين وتُشفي قلوب أبنائك السلفيين خاصة وعامة الناس الذين يسعى هؤلاء المغرضون بتصوير الربيع لهم في صورة غير مرضية .

طيب ، هذا السؤال – بارك الله فيكم – جوابه من وجوه عدة :

- أما الوجه الأول :

- فهو لا عطر بعد عروس ؛ فالعلماء الكبار : ابن باز ، بن عثيمين ، الألباني ، النجمي ،الشيخ زيد –رحمة الله عليهم جميعًا–... كلهم يثني على الشيخ ربيع ، وعلى منهجه ، وعلى دعوته وأنها دعوة سلفية قوية ، بل والأحياء أيضا : العلامة صالح اللحيدان ، والعلامة صالح الفوزان ، والشيخ العلامة حسن البنا وغيرهم الشيخ عبيد الجابري – أيضًا – يثنون على الشيخ ربيع الأحياء الذين هم معه الآن هم يثنون على الشيخ ربيع ويدافعون عنه فإذا كان هؤلاء العلماء وهم الذين رضي الله – عز وجل – وذكر الله شهادتهم له بالوحدانية إذا كان هؤلاء العلماء يثنون على الربيع فمن يتكلم فيه لا شك أنه من السفهاء من الضلال من المنحرفين .

- الوجه الثاني :

- الذي يجب أن أقوله ليس لي أن أدافع عن الشيخ ربيع ، فالشيخ ربيع – حفظه الله تعالى– إمام في هذا العلم وفي هذا الدين وثبت الله –عز وجل– به المنهج وثبت الله – عز وجل – به الحق في هذا العصر فهو كالجبل في وجه الحدادية وفي وجه المميّعة وفي وجه الروافض وفي وجه الليبرالية وفي وجه دعاة السفور وفي وجه كل طائفة أو نحلة أرادت أن تطعن في هذا الدين في هذا العصر فإن الشيخ ربيع المدخلي – حفظه الله تعالى – وقف في وجهها كالجبل ورد باطلهم ودكه دكا – جزاه الله خيرا –.

## – الوجه الثالث :

– انظروا إلى كتبه وإلى دروسه وإلى محاضراته كلها في تقرير التوحيد والدعوة إلى التوحيد وإلى المنهج الصالح ؛ إلى منهج السلف الصالح ومحاربة الشرك ومحاربة البدع والضلالات .

– ماذا تريدون أكثر من هذا ؟

فالإمام ربيع المدخلي –حفظه الله تعالى– هو جبل شامخ في وجه أعاصير الفتن بفضل الله – عز وجل – ، وهؤلاء الذين يطعنون في الربيع هم حالهم كما قال أهل العلم: "إن المفلسين والجهّال والمغرضين إن لم يجدوا حججا وما استطاعوا أن يردوا الحق قاموا بالسبّ والشتم والطعن في دعاة الحق" ، فهم لا يوجد عندهم أي حجة .

نحن نطالبهم ؛ أنتم تطعنون في الإمام ربيع المدخلي ، أعطونا طعنا واحدا .

الشيخ – حفظه الله تعالى –كما يقول الشيخ الألباني عن الشيخ ربيع –حفظه الله تعالى – : " إنني لا أعلم له خطأ في العقيدة ولا في المنهج " وأثنى عليه وأنه حامل راية الجرح والتعديل فهو –حفظه الله تعالى – حامل راية الجرح والتعديل وهو بحق إمام في هذا العصر فهو باب وسدّ منيع بإذن الله – تعالى – في وجه أهل الفتن .

والله كم من فتنة أريدت بالمنهج السلفي وكم من فتنة سعى إليها المغرضون لتفريق السلفيين وللطعن في المهنج السلفي فوقف الشيخ فوقف شيخنا الإمام

ربيع المدخلي – حفظه الله تعالى– في وجهها كالجبل الشامخ الأشم وأخمدها بفضل الله – عز وجل– فجزاه الله خيرا .

هؤلاء الحدادية نسأل الله أن يهديهم إلى الحق أو أن يقطع دابرهم ويكفي السلفيين شرهم إن لم يريدوا الحق فهؤلاء الحدادية وهؤلاء المميعة لا حجة عندهم أبدا كلها أكاذيب وافتراءات وقلب للحقائق وإتيان بالباطل وجعله في صورة الحق وإتيان بالحق وجعله في صورة الباطل .

والشيخ – حفظه الله تعالى – وقد بلغ من العمر ؛ أي جاوز الثمانين نسأل الله أن يشده بالصحة والعافية وأن يحفظه في علمه وعمله وماله وولده وهو لازال يكتب ويرد على هؤلاء المنحرفين من حدادية أو مميعة أو تكفيريين – فجزاه الله خيرا – ، والله لو أردت أن أسرد مناقب وأعمال الشيخ الإمام ربيع المدخلي – حفظه الله تعالى – والله لم تكفيني الساعات فالشيخ – حفظه الله تعالى– صاحب دعوة سلفية قوية وصاحب علم جم كبير بفضل الله – عز وجل – وصاحب قلم في الرد على أهل البدع والضلال .

والله – عز وجل – وهبه من الصبر ومن الحكمة ومن القوة والثبات في الحق ما شهد له في ذلك كبار العلماء .

وأيضا لعلي أختم بكلمة لشيخنا محمد بن عمر بازمول في الثناء على الشيخ ربيع – حفظه الله تعالى – وهي كلمة حق حيث يقول الشيخ محمد بن عمر بازمول يقول الشيخ ربيع في نظري والله أعلم مجدد باب الرد على أهل البدع والفرق في هذا القرن لا يدانيه ؛ أي لا يقاربه ولا يساويه أحد من علماء العصر

فيما أعلم ؛ أي في باب الرد على أهل البدع والفرق .

قال : ويكفيه فضلا ونبلا موقفه من سيد قطب والإخوان فكيف إذا ذكرت موقفه من دعاة الصحوة وموقفه من الحدادية وموقفه من غيرهم أمد الله عمره بصحة وعافية وأحسن ختامنا وختامه على خير .

قال هذا شيخي فليفخر أُمرؤ بشيخه انتهى كلامه –جزاه الله خيرا – هو كلام واضح جدا في إمامة هذا الإمام الشيخ الإمام العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي شيخنا – حفظه الله تعالى– في علمه وعمله وولده وماله – وجزاه الله خيرا – عن الإسلام والمسلمين وعن المنهج السلفي ما قام به من جهود جبارة ونسأل الله – عز وجل – أن يتقبلها منه وأن يتقبله في الصالحين وأن يختم له بذلك فإنه – جزاه الله خيراً – من أكثر العلماء بذلا لوقته وجهده وماله في سبيل الله – عز وجل – وفي سبيل نصرة الحق ونصرة المنهج السلفي – فجزاه الله عنا – وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين